القَائِدُ المُرَبِّي

rasoulallah.net

بيْنمَـا كان عُمَـر يَجلِـس مـع مَجمُوعـة مِـن أصْحابـه فِـي دار مِـن دُور المدينـة، إذ طلـب مِنْهـم طلبًـا وَقَـال لَهُم:"**تمنَّـوْا**."

فَقَال أَحدُهم:"أَتمَنى لَو أنَّ هَذِه الدَّار مَملُوءة ذهبًا أُنفِقه فِي سبيل اللَّه."

ثُمَّ قال عُمَر مَرَّة ثَانِية:"**تمنَّوْا**."

فَقَال رَجُل آخر:"أَتمَنى لَو أَنهَا مَملُوءة لُؤْلُؤا وزبَرْجدًا وجوْهَرًا أُنفَقه فِي سبيل اللَّه وأتصَدَّق بِه."

فَقال لِلمرَّة الثَّالثة:"تمنَّوْا."

فقالوا:"مَا نَدرِي مَا نَقُول يَا أمير المؤْمنين!"

ويْكأَنَّهم يُريدون أن يعْرفوا مَاذَا يَتَمنَّى.

فَقَال عُمَر:"ولكنِّي أَتمَنى رِجالا مِثْل أَبِي عُبيْدَة بْن الجرَّاح، ومعاذ بْن جبل، وَسالِم مَولَى أَبِي حُذيْفَة، فأسْتعين بِهم على إِعلَاء كَلمَة اللَّه."

هؤلاء هُم الرِّجَال الذينَ ربَّاهم المُربي القائد مُحمَّد بْن عَبْد اللَّه الذِي كان فقيهًا فِي النُّفوس، عَالَمًا بِأحْوالهَا ونقاط قُوَّتهَا وَضعفِها.

فَـكَان يَستثْمِر طاقـات وَقـدُرات أَصْحابـه بِمَـا تُتْقِنـه نُفوسـهم، ومَـا يَتَوافَـق مـع سَـجيتِهم.

فَربَـى القائـد الإداريَّ **عُمَـر بْـن الخطَّاب** والقائد الإسْتراتيچيَّ التَّحْليليَّ **عَمرُو بْن العاص** والقائد الميْدانـيَّ **خَالِد بْـن الوليِـد** والقائـد الجمْهـوريَّ **سَعْد بْـن مُعَاذ**.

وعلّم ساكنَات الخُدور، وَرَبات البُيوت، وصانعات الرِّجَال كَيْف يُخرِجون لَنَا أَبطَالًا؛ فكانتْ هُنَاك **أُم سُلَيم بِنْت ملحَان** التِي أَخرَجت لَنَا الصَّحابيّ العالـم **أَنَـس بْـن مَالِـك**، وكانـتْ هُنَـاك **صَفيَّـة بِنْـت عَبْـد المُطلـب** عَمَّـة النبِـي التِـي أَخرَجـت لَنَـا أَوَّل فَـارِس فِـي الإسْـلام **الزُّبَيْـر بْـن العَـوام**، وكانـتْ هُنَـاك **لُبَابَـة الكُبـرى** التِـي أَخرَجـت لَنَـا **ابْن مَسعُود** حَبر الأُمة وترْجمان القُرآن، وكانتْ هُنَـاك **أُم رُومـان** التِـي أَخرَجـت لَنَـا أُم المؤْمنين **عَائِشـة** وَذَات النِّطاقيْنِ **أَسمَاء**!

فِـي غَـزْوة أُحُـد التِـي كانَ عَـدَد المسْـلمين فِيهَا سـبْعمائة مُقَاتِـل، وَعـدَد الكُفـار يَتَجـاوَز الثَّلاثـة آلاف مُقَاتِـل.

بدأ النبِي القائد بِتفقُّد الجيْش قَبْل الانْطلاق.

فَوجَد بَيْن الجيْش يَنحَشِر مَجمُوعة مِن الشَّبَاب الصِّغَار دُون الخامسة عَشْر عامًا!

مِنْهم **عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِي اللَّه عَنْه، وزيْد بْن ثَابِت، وأسامة بْن زَيْد، والنُّعْمان بْن بشير**، وَغيرهم، فردَّهم **النبِي** ﷺ لِصغر عُمْرِهم فِي ذَلِك الوقْت...

شَبَاب صِغَار، مَاذَا فَعلُوا؟

هل خَرجُوا لِيحْضروا مُبَارَاة كُرَة قَدَم أو يلْعبوا بِالأَلْعاب الإلكْترونيَّة لِساعَات؟!

لَا، بل خَرجُوا لِيقاتلوا، وليبذُلُوا أَنفُسهم فِي سبيل اللَّه.

فكانتْ نُفوسهم تَتُوق لِلجهَاد، لِأنَّ أُمَّهاتهم ربَّتهم تَربِية مُعَلقَة بِالسَّماء، بِاللَّه عزَّ وجلَّ، وبالآخرة وثوابهَا، مُعَلقَة بِنَصر الدِّين وإعْزازه، لَا تَلتَفِت إِلى صَغائِر الأُمور وسفاسِفهَا.

وَكَان **النبِي** ﷺ قائدًا حكيمًا يُربِّي الجيل مُنْذ الصِّغر على نُصرَة الدِّين والجهاد فِي سبيل اللَّه.

فأسامة بْن زَيْد الذِي لَقّبه النَّاس بِحِبِّ رَسُول اللَّه، لِأنَّ النبِي ﷺ كان يُحبُّه كَأبيه حُبًّا كثيرًا.

كان مُقَارِبَ السِّنِّ لِلحسْن ابْن فَاطِمة الزَّهْراء، وَكَان الحسن أبيَضًا شديد الشَّبه بِجَده رَسُول اللَّه، وَكَان أُسَامَة أَسوَد البشَرة شديد الشَّبه بِأمِّه الحبشيَّة، ومع ذَلِك مَا كان يُفرِّقهمَا **النبِي** ﷺ بِالحبِّ.

فَـكَان يَأخُـذ أُسَـامَة فيضعُـه عـلى أحـد فخِذيـه ويأخـذ الحسـن فيضعُـه عـلى فَخـذِه الأُخـرى؛ ثُـمَّ يضمُّهمَـا معًـا إلى صَـدرِه، وَيقُـول **النبِـي** ﷺ: "**اللَّهـمَّ إنِّـي أُحِبهمَـا فأحبهمَـا**."

كَبرَ أُسَامَة وَكَان فِي شَبابِه ذكيًّا وشجاعًا وحكيمًا وتقيًّا.

فَفِي غَزوَة الخنْدق جاء أُسَامَة وَهُو ابْن خَمسَة عشَـر عامًـا وَكَان يسـير عـلى أَطـرَاف أَصابِعـه لِتطـول قامتـه ويسْـمح لَـه النبِـي لِلخـروج معـه إلى الغـزْوة، فَـأذِن لَـه النبِـي بِالخـروج، فَحمَـل السَّـيْف وقـذَف الرُّعْـب فِـي قُلُـوب المشْـركين!

فرآه **النبِي** ﷺ وأعْجب بمَهارَاته القتاليَّة، وَعلِم أَنَّـه سَـيكُون مُقاتِـلا مِغْـوارًا فِـي سِـنِّه الصغِيـر هَذِه.

وَفِـي يَـوْم مُؤتَـة، جَاهَـد أُسَـامَة تَحْـت لِـوَاء أبيـه زَيْـد بْـن الحارثـة، وعمْـره سَـبعَة عشـر عامًـا.

وَفِـي خِضـم المعْركـة رأى أُسَـامَة مَـوْت أبيـه، وَلكِـن رَغْـم ذَلِـك لَـم يَهِـن، ولـم يَتَزعـزَع بـل ازْدَاد قُـوَّة فِـي ضَـرْب أَعنَـاق المشْـركين.

بَعْـد انتِهـاء المعْركـة، عـاد أُسَـامَة إِلَى المدينـة رَاكبًـا جَـوَاد أبيـه الشـهِيد، مُحْتسِـبًا والـده عِنْـد اللَّه.

فَرأَى **النبِي** ﷺ ذَلِك، وَعلِم أَنَّ الولد ذَا السابعة عشـر عامًـا قـد أَصبَح رَجُـلا عُمـرُه أربعـون عامًـا لِشجاعته وَقوتِه.

فَفِـي السنَة الحاديـة عَشْـر لِلهجْـرة، أَمْـر **النبـى** ﷺ بِتجْهِيـز جَيْش لِغَـزو الـرُّوم، وجعَـل فِيـه أَبَـا بَكْـر وَعمَـر وسـعْد بْـن أَبِـي الوقَّـاص وَأبَـا عُبيْـدَة بْـن الجـرَّاح!

كِبَار الصَّحابة والمقاتلين كَانُوا فِي هذَا الجيْش!

ستتوَقَّع أنَّ أمير هذَا الجيْش سَيكُون أحد كِبَار الصَّحابة هؤلاء، وَلكِن المفاجأة أَنَّه وَضْع أُسَامَة بْن زَيْد ذَا الثَّمانية عشر عامًا على رَأسهِم!

فَبدَأ المنافقون بالظُّهور، وأكْثروا القوْل فِي تأْميره وتوْليته أَمْر قِيادة الجيْش، واعْترضوا على أن يَقُود الرِّجَال الكبَار شابٌ لَم يَبلُغ العشْرين مِن عُمْرِه بَعْد!

فَبلَغ **النبِي** ﷺ ذَلِك، فَخرَج على النَّاس، وَقَال لَهُم ﷺ:"إِن تطْعنوا فِي إِمارَته، فقد كُنتُم تَطْعنون فِي إِمارة أبيه مِن قَبْل، وايم اللَّه، إِن كان لِخْليقًا لِلإمارة، وَإِن كان لَمِن أحبّ النَّاس إِليّ، وَإِنّ هذَا لَمِن أحبَّ النَّاس إِلى بَعْدَه!"

أسْكتَهم **النبِي** ﷺ جميعهم!

لِأَنَّ القائد يَعلَم حقَّ العلم كَيْف يَقُود الشَّبَاب ويوجِّه طاقاتهم لِنصْرة الإسْلام.

فَوَلّى **عِتَاب بْن أُسَيد** إمارة مَكَّة وَهُو لَم يَتَجاوَز العشْرينيَّات.

وَحَمّل لِوَاء قَبِيلَة بِأكْملهَا بِمَا فِيهَا مِن شُيُوخ، لِأَحد شُجْعان الشَّبَاب وَكَان يُسمَّى سِنان الأشْجعي.

وَحمَّل الرَّاية **لِقَيس بْن سَعْد بْن عُبادة بْن الصَّامتِ** رَضِي اللَّه عَنهُما بَعْد أَخذِها مِن أبيه.

فَأَنَّى لَنَا بِمن يُشدِّد العزْم لِيربِّي أبْناءه كمَا رَبَّى **رَسُول اللَّه**؟

فيسْتخْرج معادنهم، ويوظِّف مهاراتهم، ويسْتعْملهم بِمَا ينْفعهم فِي دُنْياهم وآخرتهم.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ
أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ
وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١
وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ
هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا
وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [الأحزاب ٢١-٢٢]